

التفسير المختصر - سورة الروم (٣٠) - الدرس (٨-٦) : تفسير الآياتان ٣٢-٣١ ، منبيين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٥-١٠-٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسْتَمِعُونَ القول فيتبعونَ أحسنَه وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، لازلنا في سورة الروم ومع الآية الواحدة والثلاثين وهي قوله تعالى:

﴿مُنَبِّئِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣١) من الذين فرقوا دينهم
وكانوا شيئاً كل حزب بما لديهم فرِحُونَ (٣٢)

[سورة الروم]

الآية التي قبلها شرحت قبل العيد، وهي قوله تعالى:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّدِينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيْمُ وَلَكَنَ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٠)

[سورة الروم]

المنهج الذي أنزله الله على النبي صلى الله عليه وسلم متوافقاً أتم المُوافقة مع فطرة النفس، فحينما يُقال: الإسلام دين الفطرة أي أنه متوافق مع النفس البشرية، فالذي خلق النفس البشرية وخلق خصائصها، وخلق جيلاتها، وطبعها ومبادئها، هو الذي أنزل الكتاب على عبده، وهو الذي أمر ونهى، هناك توافق بين خلق الله وبين تكليفه؛ خلق وكف، فذلك أن تقييم وجهك للدين حنيفاً عين فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبدل لخلق الله، وهذا هو أصل الدين.

قال تعالى:

﴿مُنَبِّئِينَ إِلَيْهِ﴾

[سورة الروم]

أي ينبغي أن تكونوا منبيين إليه أي راجعين إليه في الأمر والنهي وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفاما عند كتاب الله، أنت لك مرجع، أما الكافر فشارد، يفعل ما يشاء، وينطلق من غريزته ومصلحته، ومن شهوته، أما المؤمن وفاف عن حدود الله، ولهم مرجع، ويسأل ما حكم الشرع في هذا الموضوع؟ وما حكم الشرع في هذه القضية؟ وفي هذه الصفة؟ وفي هذه العلاقة؟ وفي هذا السفر؟ وفي هذا الغضب؟ وفي هذا العطاء والرضا، فأنت لك مرجع، قال تعالى:

﴿مُنَبِّئِينَ إِلَيْهِ﴾

[سورة الروم]

في الأمر والنهي، ويرجعون إليه بقلوبهم، قال تعالى:
﴿وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾

[سورة الروم]

ولكن مرکز التّقلّ قوله تعالى:

﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣١)

[سورة الروم]

من هم المشركين في هذه الآية؟ قال تعالى:

﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدِيهِمْ فَرَحُونَ﴾ (٣٢)

[سورة الروم]

أي شارك الله في التشريع والعقيدة، واعتقد بشيء، وسفه ما سواه وبحث عن الأدلة بعد أن اعتقاد بالشيء! ودققاً معه في هذا الموضوع أخطأ فئة في الدين أهل الرأي، من هم أهل الرأي؟ الذين اعتقادوا رأياً، ثم بحثوا له عن أدلة، فهو جاء بعقيدة جديدة وفكرة جديدة وبحث عن الأدلة، فالقرآن والسنة إن دعّمت هذا الرأي تمسّك بهما وإن نقضت هذا الرأي أغفلهما! إن كان قرآن أغفله، وإن كان سنتاً كذبها، فدينه رأيه، وهؤلاء فرقوا دينهم وأصبحوا دين رأي كما تعلمون ففرق وطوائف، واتجاهات، وقد كان الإسلام واحداً وإله واحد وقرآن واحد، وأصبح هناك عشرات بل مئات الفرق والطوائف فهو لاء فرقوا دينهم وكأنوا شيعاً، والشيعة جمع شيعة؛ أي انحياز إلى مذهب دون تفكير، قال تعالى:

﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدِيهِمْ فَرَحُونَ﴾ (٣٢)

[سورة الروم]

فكلّ جماعة تدعى أنها على حقّ، وما سواها على باطل، وحينها يتمزّق الإسلام ويُصبح فرقاً، ومذاهب وجهات وتتباخر، وتتقاذف الطعن وأنّها على الحق وسوها على الباطل! هذا عمل خطير جداً قال تعالى:

﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣١) من الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدِيهِمْ فَرَحُونَ﴾ (٣٢)

[سورة الروم]

فينبغي أن نتعاون وأن نعود إلى الأصل الواحد؛ شجرة لها جذع وفروع وأغصان، فالاغصان كثيرة والفروع كثيرة؛ أما الأصل فواحد، فالملخصون الآن يعودون إلى الأصل، وإلى الكتاب والسنة الذي يجمعنا جميعاً، وإلى الأحاديث الصحيحة التي تجمع شملنا وفضلاً عن ذلك نتعاون فيما اتفقنا ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا لذا من الأعمال الكبيرة جداً عند الله أن نأتي برأي من عندنا، وأن نبحث له عن أدلة من الكتاب والسنة، فإن جاء الدليل موافقاً تمسّكنا به، وإن جاء

مُخالِفًا رَفَضْنَاهُ فَالْأَصْلُ إِذَا رَأَيْنَا، وَالدِّينُ رَأَيْنَا، فَهَذَا الْعَمَلُ يُفَرِّقُ الدِّينَ، وَيُجْعِلُهُ فَرْقًا، وَطَوَافِ،
وَيُفَرِّقُ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ تَعَالَى:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَنَفَشُوا وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الصَّابِرِينَ﴾ (٤٦)

[سورة الأنفال]

كيف نختلفُ والكتابُ واحدٌ، والنبي صلى الله عليه وسلم واحدٌ والسنة واحدة ؟ مرةً ثانيةً
الأحاديث الضعيفة والموضوعة تُفرقُ، أما الصحيحَة فتَجْمِعُ، فإذا تمَسَّكنا بِكتابِ الله وسنة رسوله
الصحيحة اجْتَمَعْنا، فلِذلِكَ مِن علاماتِ الإِخْلَاصِ أَنْ نَجْتَمِعُ، وَمِنْ علاماتِ ضَعْفِ الإِخْلَاصِ أَنْ
نُنْفَرِقَ، وَالله سبحانه وتعالى:

﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣١)

[سورة الروم]

لا تَكُنْ مُشْرِكًا بِمَعْنَى أَنَّكَ تَبْدِئُ فِي الدِّينِ بِدُعْةً، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ يَحْمُدُ اللَّهَ وَيَثْنِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ
يَقُولُ:

((مَنْ يَهْدِي اللَّهُ فَلَا مُضِلٌّ لَهُ وَمَنْ يُضِلُّهُ فَلَا هَادِي لَهُ إِنَّ أَصْدِقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَأَحْسَنُ
الْهَدِيِّ هَدِيُّ مُحَمَّدٍ وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدُعْةٍ وَكُلُّ بِدُعْةٍ ضَلَالٌ وَكُلُّ ضَلَالٌ فِي
النَّارِ ثُمَّ يَقُولُ بُعْثُتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتِينَ وَكَانَ إِذَا ذَكَرَ السَّاعَةَ أَحْمَرَتْ وَجْنَاهُ وَعَلَى صَوْتِهِ وَاشْتَدَّ
غَضْبُهُ كَانَهُ نَذِيرٌ جَيْشٌ يَقُولُ صَبَّحُكُمْ مَسَاكُمْ ثُمَّ قَالَ مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلَا هُلُّهُ وَمَنْ تَرَكَ دِيْنًا أَوْ
ضِيَاعًا فَلِيَّ أَوْ عَلَيَّ وَأَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ))

[إدراة النساء]

لَذِكَ العِقِيدَةِ ثَابِتَةٌ وَمُنْتَهِيَّةٌ، وَكَذَا الْعِيَادَاتُ، وَلَا يُضَافُ عَلَيْهَا وَلَا يُحْذَفُ مِنْهَا، قَالَ تَعَالَى:
﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضطُرَّ فِي
مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَاهِفٍ لِإِيمَنِ اللَّهِ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣)

[سورة المائدة]

إِذَا اللَّهُ سَبَّانَهُ وَتَعَالَى أَتَمَّ هَذَا الدِّينَ وَكَمَلَهُ، أَتَمَّهُ عَدَدًا، وَكَمَلَهُ نَوْعًا فَهُلْ يَحْتَمِلُ الدِّينُ إِضافَاتٍ
جَدِيدَةٍ؟ وَهُلْ يَحْتَمِلُ الدِّينُ أَنْ نَحْذِفَ مِنْهُ شَيْئًا لَا يَتَنَاسَبُ مَعَ هَذَا الْعَصْرِ؟ إِنَّكَ إِنْ قَلْتَ هَذَا فَأَنْتَ
تَنَهِمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي حِكْمَتِهِ، وَتُرْفَضُ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَ تَعَالَى:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾

[سورة البقرة]

إِنْ ظَنَنتَ أَنَّ هَنَاكَ تَكْلِيفًا فَوْقَ وُسْعِ الْبَشَرِ فَأَنْتَ تُكَذِّبُ هَذِهِ الْآيَةَ، وَمَنْ كَذَبَ آيَةً فَقَدْ كَفَرَ، فَأَيُّ
أَمْرٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي وُسْعِ النُّفُسِ الْبَشَرِيَّةِ أَنْ تُطْبِقَهُ، فَأَنْ نَقُولُ: لَا أُسْتَطِعُ! وَهَذَا الْأَمْرُ لَا
يَتَنَاسَبُ مَعَ الْعَصْرِ وَلَا يَتَنَاسَبُ مَعَ الْقَدْمَ! فَأَنْتَ تَنَهِمُ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَاصِرٌ عَلَى أَنْ يُلْبِيَ

حاجات البشر، أو أن يُغطّيها، لذلك الأصل هو النّص، فأنّت بعد أنْ آمنتَ بكتاب الله عز وجل، لا يشغلك إلا شيءٌ واحد، أن تبحث عن أمر الله تعالى، وعن نهيه، فالاصل هو الأمر، أما إنْ جعلتْ فِكْرِتِي هي الأمر، وبحثت لها عن أدلة، وانتَقَيْتُ إنْقاءً يُعجِّبُني ورفضتُ ما لا يُعجِّبُني، فأننا أعبدُ نفسِي، ورأيِّي، وابتَدَعْتُ دينًا جديداً قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعَةً مِّنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبَّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (١٥٩)

[سورة الأنعام]

أيها الإخوة الكرام، يقول الله عز وجل:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٨)

[سورة يوسف]

على بصيرة أي بالدليل والتعليل، والبيان، والحق يتتوافق مع الفطرة ومع العقل، ومع الواقع، فإذا تخلفتِ الفطرة فهي ليست عقلاً، وإن تخلف الواقع فليس حقاً، هذا الحق متوافق مع الفطرة والعقل والواقع فحينما أتي بِفِكْرٍ ليس لها دليل فأنا أتَّبَعُ دِينِي جديداً وابتَدَعْتُ، فلذلك إنْ هذا العلم دين، فانظروا عنَّ تأخذوا دينكم، وخذْ عن الدين استقاموا ولا تأخذ عن الدين ماتوا، فالله سبحانه وتعالى يقول:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٨)

[سورة يوسف]

لو قلتُ لك: أنا قلتُ هذا، وهذا هو الحق، فأنّت بهذا أشركتَ نفسَك في التشريع، لذلك كلمة الإشراك أحْياناً تتصارفُ إلى من يأتي بجديد وليس معه دليل، يقول لك: كلامي هو الدليل، وخطأ الشِّيخ خيرٌ من صواب المُرِيد !! كلام لا أصل له، الأصل الكتاب والسنة، وهذه الآية:

﴿مُنَبِّينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣١) منَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ
وَكَانُوا شَيْعَةً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدِيهِمْ فَرِحُونَ (٣٢)

[سورة الروم]

من هم المشركون؟ قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعَةً مِّنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبَّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (١٥٩)

[سورة الأنعام]

أصبحَ الدين خمسين مذهبًا، واتجاهًا هؤلاء ضد هؤلاء، وهؤلاء ضد هؤلاء، وهو لاء يُكفرُونَ هؤلاء، نحن على الحق، وغيرنا على الباطل هذه هي مشكلة المسلمين، وأصبحنا فرقاً وطوائفَ وشيعة، وأحزاباً وتفرقنا، قال تعالى:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَنَفَشُوا وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٤٦)

[سورة الأنفال]

قال تعالى:

﴿مُنَبِّئِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣١)
﴿وَكَانُوا شَيْعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرَحُونَ﴾ (٣٢)

[سورة الروم]

إذا انتقل المراد من شيخ لآخر يُكَفَّر ! هذه هي مشكلة المسلمين، وعدم إخلاصهم هو الذي يدعوهם لهذا.

أيها الإخوة، كلمة ختامية، ودققوا فيما أقول: لن ولن تكون مؤمناً إلا إذا كان انتماؤك إلى مجموع المؤمنين، وليس إلى شرذمة منهم، فإذا قلتَ فلان هو الحق وغيره باطل فأنت لا تعرف الإسلام، ولستَ مؤمناً أما أنت كمؤمن فإنَّ انتماؤك إلى مجموع المؤمنين، لقول الله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَاصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ﴾ (١٠)

[سورة الحجرات]

فكلّ مؤمن يجب أن تُرَحِّب به، وهو على العين والرأس، وأخي؛ فهذا هو الدين، مليون قاسم مشترك يجتمعنا وبعضها يُفرِّقنا، وهذه القضايا المُفرِّقة أغفلوها، وأبرزوا نقاط الاِلاقَاق والحال الحال الشّجرة لها أصل واحد، فنحن نبيّنا واحد وديتنا واحد، والكتاب واحد وكذا السنة واحدة، فلم الاختلاف ؟ قال تعالى:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٨)

[سورة يوسف]

يجب أن تقرَّ بـكُلّ أخٍ كريم، ومهما كان اتجاهه، إلا إذا اعتقدَ عقيدةً ضالةً فلا بدّ أن تناقشه، وترشّده، فلا ينبغي أن تقرَّه على ذلك، أما إن كانت عقيدته صحيحة، وسلوكه حسن فهذا أخي في الله مهما كان اتجاهه، أما الانحياز لجماعة، والتّعصب لها والطّعن فيما سواها فهذا سلوك شيطاني، والشّيطان ما أراد إلا أن يُفرِّقنا، فذا شهد الشّهادتين وأقام الصلاة وآتى الزكاة وهذا أخ كريم في الله.

والحمد لله رب العالمين